

أمثلة من الترجمة

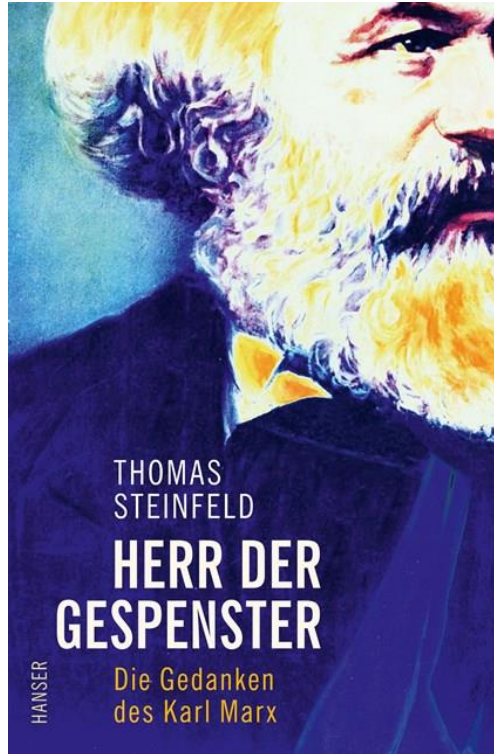
**Thomas Steinfeld**  
***Herr der Gespenster. Die Gedanken des Karl Marx***

Carl Hanser Verlag, München 2017  
ISBN 978-3-446-25673-6

صفحات 9-23

توماس شتاينفيلد  
"سيد الأشباح"  
أفكار كارل ماركس

ترجمة شريف الصيفي



# سید الأَشْبَاح

أفكار كارل ماركس

توماس شتاينفيلد

## المحتوى

### مقدمة

صورة الفيلسوف | دعوة للتفكير | مسألة امتلاك الحق

### المجد

المنظر والثوري | الاقتصاد وبقية العالم | عودة العصر الذهبي  
إلغاء السياسة | الخبز الرخيص

### البيان الشيوعي

أخوة السلوان | شبح الشيوعية | فن السلعة | وثيقة الثورة  
مسودة تاريخ العالم | رسالة التاريخ | القصور والضعف

### المؤامرة

أهمية التاريخ | خيارات هذه الأرض | نهاية كل شئ

### المال

مقياس الأشياء | قوة المال السحرية | عالم المقايضة  
عنف التصرف | قوة المجهول

### الإضافة

بطل التاريخ | أبحاث كلب | الراحون والخاسرون  
ساعات العمل والأجر | الحسي والخارق للطبيعة | الأمل ونهاية العالم

### رأس المال

بطل التاريخ | الإيمان والأزمة | مجتمع المضاربين  
رأس المال والمستقبل | ترويض الصدفة | الذهب والرصيد | الحقيقي والوهمي

### الملكية

الشيوعية سرقة | العالم هو الملكية | الملكية شخص  
أدوات الإنتاج ملكية خاصة | الوحيد هي ملكيته  
الملكية اغتراب | البيت هو أنا

### اللغة

رأس المال مصاص دماء | صور التعاليم | استعارة وإدراك  
تأثير الحقيقي | قصة الزومبي

### العمل

الحفارون والضاربون | وضوح المصاعب | رابطة العمل |  
وجود الطبقات | اختفاء الطبقة العاملة | نهاية العمل

### المساواة

عدم المساواة هو الخطر | السلطة هي البنك | التبادل يتطلب المساواة

المساواة تناقض الحرية | المساواة هي إنجاز ناشئ  
عدم المساواة يقود إلى التجريبية | المساواة تبحث عن إيقاعها

### الآزمة

إمكانيات الفهم | معرفة الآزمة | تقدم رأس المال  
تعاليم وحشية | انخفاض معدل الربح |  
الجديد والقديم | نهاية النمو

### الثورة

الانقلاب واتجاهه | الانتفاضة وجمهورها  
الشعور وأبطاله | الثورة وإطارها  
الثورة وثمنها | مقبض فرامل الطوارئ

### العلم

حياة في المكتبة | العلم بصيغة المفرد  
ناسك يسكن عُش كبير | لا نهائية المقتطفات  
وحيد في العلم | إسراف في العمل  
جدلي في التاريخ الطبيعي

### الجريدة

الجزء الأكبر من العمل | معنى الصحيفة  
حُسن الحظ | أرضية التعليم المشتركة | مهمة الجمهور

### الصنم

روح السلعة | الطاولة والصرصار | السلعة وواجهة العرض  
اسم الشيء | الإبداع والإعلان | الاغتراب للأشياء (التشيؤ)

### الفشل

مأساة المجد | شيء بلا نهاية | عالم بدون قيود  
توديع النظرية | الاحتجاج والفن | معرفة موقف المرء

### شكر

### ملاحظات

## مقدمة

### صورة الفيلسوف

في معظم الصور التي نعرفها لكارل ماركس، تطالعنا رأس قوية وجبهة عريضة، وحاجبان محددان، وشعر كثيف أشعث. هو كارل ماركس: صاحب اللحية الكثة لدرجة أن يمكن وصفها بعريضة المساحة. هو صاحب النظرة الحنونة المُركزة، والتي توجه المشاهد لعمق لا نهائي. مثل هذه الرأس تنتصب واحدة من البرونز المصبوب في أحد الميادين العامة في وسط مدينة "كمنتس" شرق وسط ألمانيا، بارتفاع يزيد عن سبعة أمتار، بدون احتساب طول القاعدة. بعد انهيار جمهورية ألمانيا الديمقراطية قرر المواطنون إلا تظل المدينة تحمل اسم "مدينة كارل ماركس" وأن تستعيد اسمها القديم "كمنتس"، لكنهم أرادوا في نفس الوقت الاحتفاظ بالنصب التذكري. فالأسماء تحقق ارتباط أكثر قوة من التماثيل.

قد تكون مثل هذه الرؤيا الخيالية في عيون أتباعه، الذين يرونه كيان ذو قوة غيبية أو مؤسس لمذهب ديني، أما المُفكرون فهم على العكس من ذلك ليسوا صالحين للتصورات البطولية. فهم لا يهتمون أفكارهم غزواً، بل ينتجونها في الغالب بتفاصيل عمل شاقة. وفي بعض الأحيان يلتقون بهذه الأفكار كما لو كانت صدفة، فليس في الأمر هنا أيضاً أي عمل بطولي. وغالباً ما يكون المُفكرون غير متاكدين فيما إذا حقاً يمكن قول ما يريدون قوله، وعندما يتم استخلاص النتيجة في النهاية، وبالقاد فور توفرها تخضع للاختبار، ثم اختباراً اضافياً، واحد تلو الآخر. فالتفكير يتطلب الهدوء والوقت والشك المُقلق، مع بذل المزيد من الجهد بشكل دائم. من يريد حلقات غائرة تحت العينين وشعر أشعث، وينظر من مكتبه كما لو كان قادراً بنظرته اخضاع عوالم ما وراء الأفق؟

بقيت صورة من كارل ماركس مستمرة، لكنها ليست صورة المُفكر، بل صورة المناضل والأخلاقي، الذي انتقد استغلال الإنسان في العلاقات الرأسمالية، وأيد المساواة والعدالة ودعا للثورة. ليس هناك الكثير من الحقيقة في هذه الصورة، ومع ذلك مازالت باقية ومؤثرة. ولا تعود هذه الاستمرارية إلى نظريات كارل ماركس بقدر ما تعود إلى طبيعته الراديكالية. فمن ناحية أخرى يبدو أنه هو وتعاليمه شكلاً وضعاً متطرفاً لما يمكن اعتباره اعتراضاً ضد الأوضاع السائدة، شريطة ألا يشارك المرء في هذا التطرف. ومن ناحية أخرى كان هذا كافي لمعظم الناس لمعرفة من أي نوع كانت أعماله. على كل حال كان الموقف المقرر مضاد لكتاب "رأس المال". ألا يعتقد العامة أن امتلاك المال الكثير يعتبر مؤامرة

على صغار الناس، وهو الأمر الذي ما يزال المبرر الأكثر شعبية، كي تقدم نفسها كضحية مزعومة لهذه الأوضاع في ظل الظروف ذاتها؟

ثالثاً، يرتبط اسم كارل ماركس بذكرى حركات التمرد والثورات والانتفاضات، والأعلام الحمراء والحواجز وأدخنة الغاز المسيل للدموع. وإن كانت هذه الأحداث تعود لعقود مضت، لكنها مازالت حاضرة تمامًا كرأس مدينة كمنتس.

لا يوجد أساس لفرضية أن كثير من الناس، من صغار السن قد قرأوا "رأس المال" بالفعل. حتى ولو كانت الفصول الأربعة الأولى فقط. ومع ذلك فإن فكرة هذا العمل مازالت حية، بنفس القدر الذي به تقدم الرأسمالية نفسها بوصفها شكل المجتمع الوحيد الذي لا مفر منه. وعلى مدى عقود ولأكثر من قرن من الزمان تتأكد الفكرة، بأن الكفاح ضد الهيمنة الرأسمالية تركز وتبلور في كارل ماركس. هذا التصور على علاقة بالوضع الراهن للمجتمع أكثر من كونه تراث أو معرفة تم تبنيها من القرن التاسع عشر.

## دعوة للتفكير

هي محاولات، إن لم تكن للعالم، فعلى الأقل لكارل ماركس وإنفاذ عمله. كان هناك الكثير منها، بما في ذلك محاولات أولئك، الذين أرادوا نقل الرجل وكتبه إلى مملكة الاختراعات. يقول عالم السياسة الأمريكي مرشال برمان: "هذا التراث هو أول عمل فني عصري كبير"<sup>1</sup>. لكن من سنساعد إذا كان العمل سيتم إنفاذه فقط لأجل الفن؟ وينطبق نفس الشيء على الفكرة الشائعة، بأن كارل ماركس وفريدريك إنجلز كانا يريدان شيئاً صحيحاً، وأن لينين وستالين وماو وأنصارهم قد أساءوا فهمهما أو تعرضا للخيانة. ماذا يمكن أن يكون "الشيء الصحيح" في الكتاب، الضخم غير المكتمل، والذي يشير كذلك إلى اتجاهات متباينة بالفعل؟ أحد المدافعين المعاصرين عن كارل ماركس ذهب بعيداً، حين أعلن أن كارل ماركس كان محامي "الطبقة المتوسطة" وقيمتها الثورية العظيمة: الحرية، تقرير المصير، التنمية الذاتية<sup>2</sup>. كما دعا "التكلف الكهنوتي" في القرن التاسع عشر إلى خلع المعنى حتى على أكثر صراعات المصالح وحشية في التجاوزات أمام قضية مبدئية صالحة مشتركة.

لا يوجد في عمل كارل ماركس شيء يستوجب الإنفاذ تحت جميع الظروف، سواء كان ذلك من خلال التحول إلى الفن أو الاخلاق. وهذا العمل أيضاً ليس كتاباً مقدساً، الذي يفسره المرء كما يظن له، لكونه يستخدم صور بيانية، وعليه قائل اللاهوتيون بعضهم البعض أكثر مما فعلوه مع الوثنيين. هناك أيضاً شيء عند كارل ماركس يمكن استيعابه، فهناك أفكاراً في هذه الكتب، يمكن تصفحها أو رفضها أو اعتناقها. وإذا كانت الحجج غير مرضية، فليس في الأمر أي اخفاق. فالمثالية مرتبطة بالفشل: الرغبة في الخروج بفكرة للعالم، بحيث تكون متوافقة مع المفهوم. في بعض الأحيان توجد أفكار مشابهة لتلك عند كارل ماركس، لكنها لا تخيم على عمله ككل.

خلاف ذلك، ليس ثمة الكثير من مراجعات الأفكار، التي صاغها بالفعل ودونها. فليس للفشل أي علاقة بالمراجعات وإعادة النظر: قد يكون مرد النتيجة الضعيفة، أن المهام التي حددها المرء لنفسه صعبة بشكل إستثنائي، ولم يتمكن من إنجازها، أو أن الأمر يعود لكون المرء قد نتبع المسار الخاطئ ولم يلاحظ أنه يضلله، إلا متأخراً.

لذلك أيضاً سيتم على الصفحات التالية توضيح بعض اليقين حول المطالب والرؤى، التي يقال أن كارل ماركس نقلها للعالم: المطالبة "بالمساواة" على سبيل المثال، أو أيضاً التصور، بأن بعد الثورة يتوقع للناس المحررين حياة كبار الملاك الكسولين، إن لم تكن حياتهم عطلة أبدية. وكما قيل: توجد بعض العبارات المماثلة في كتابات كارل ماركس، لكنها لا تبقى بدون معارضة، ويحدث ذلك غالباً في نفس العمل.

وتظهر في الصدارة عوضاً عن ذلك جهود مثقف لا يكف عن النشاط، فقد كرس كارل ماركس نفسه بشكل كامل لمواضيع أبحاثه، ودائماً كانت هناك بدايات جديدة ودائماً بمقدمات طويلة، ودائماً وتكراراً تشرّد الأفكار. فيجب أخذ الأمر على محمل الجد في الثمن الذي يجب دفعه، حيث يجب على المرء أن يبدأ مرة أخرى بدايةً بأفكاره الخاصة. في المائة وخمسين عاماً الماضية التي مرت على صدور المجلد الأول من "رأس المال" ظهر العديد من التأويلات لهذا العمل، لكن لم يكن هناك اعتراف عام به. من قبل النصب التذكري الذي سيعجب القادمون به، أو من قبل النظام الذي فيه يُخصّص لكل حدث مكان ثابت، بدا عمل كارل ماركس كحقل لحركات متصلة، وفي بعض الأحيان متباينة.

سنحيط في هذا الكتاب ببعض الحركات من منظور شخصي وبشكل مقتضب بقدر الإمكان. ودائماً مع نظرة على الحاضر - نظرة، ليس فقط من أجل معرفة المسافة الفاصلة بين ماركس والحاضر، لكن أيضاً للتدليل على إن ماركس حمل في الماضي اهتماماً بحاضرنا الحالي. لكن من خلال ذلك لا يمكن بأي حال استبدال دراسة كتابات ماركس، وعلى كل حال فإن محاولة العودة للكتابات الأصلية والتفكير في النفس لن يساعد على الأرجح في تجاوز الأدبيات الثانوية.

لهذا السبب، من المفترض أن يكون هذا الكتاب من النوع الذي يسمى في اللغة الإنجليزية

"a book of ideas" (كتاب الأفكار)

وغالباً في هذا السياق تأتي الأفكار من الأدب ومن تاريخ الثقافة، ليس فقط ما هو كامن في مؤلف هذا الكتاب، لكن أيضاً في ما هو كامن في كارل ماركس، الذي كان في كل عمل من أعماله ثقافة تاريخية وأدبية يحشد بها مواطنيه الليبراليين في عصره. إضافة لذلك وجد في كثير من الأحيان في ما يسمى بالأدب الجميل حد أدنى من الوعي الشارد عن ما له شأن شبحي هو في الواقع اقتصاد سلعي رائج.

كتب كارل ماركس أهم كتبه "رأس المال" في شكل مشتق فلسفي، فهو ينطلق من وحدة عضوية بسيطة هي نمط الإنتاج الرأسمالي، ثم إلى السلعة ومن ثم وبشكل تدريجي إلى الشكل الاجتماعي ثم تصاعدياً إلى رأس المال "بشكل عام"، حتى الوصول إلى النقطة التي فيها يسود "قانون قيم المنافسة". خلف هذه النظرية تبدأ حركة التنافس الحقيقية ومعها مملكة العشوائية والتعسف والاهتمامات الفردية والتصادمات<sup>3</sup>. جزء كبير من المؤلفات عن كارل ماركس كُتبت أيضاً في شكل اشتقاقات، في صورة داعمة أو في شكل تعليق أو في شكل نقد حول نظرية قيمة العمل أو مفهوم الملكية، وأخيراً وبشكل نهائي لإثبات عيب كل ما هو منطقي وأساسي.



هذا الكتاب ليس اشتقاقياً بل هو يتكون من عدة مقالات تدور حول موضوعات النظرية الماركسية. ثمة عدة أسباب لاختيار هذا النموذج من الكتابة، أحدها هو الوضوح حيث يسمح المقال بمساحة من عدم اليقين والاكتمال. وهناك سبب آخر: بعض فقرات "رأس المال" ليست فقط صعبة من الناحية الفكرية، لكنها أيضاً تكاد تكون غامضة وصعبة الفهم بسبب الاستخدام المفرط للاستعارات. في مثل هذه المواضع يجب على المرء أن يستقر على رأي. وفي كثير من الأحيان لا يسير الحال بدون شك.

كما إن استخدام نموذج المقال في الكتابة يسمح ويحتمل أن يكون هناك عيب ما أو حتى خطأ في تعاليم ماركس، بدون أن يقلل ذلك من أهميتها. وهذا صحيح وبشكل خاص بالنظر إلى أن أفكاره نفسها توضح الظواهر، التي بعد وفاته بمائة عام تبرز بشدة وبشكل حاد فيما يتعلق بالطابع الصنمي للسلعة. وفي المقال أيضاً يمكن للمرء أن يتفادى فواجع السير الذاتية، التي لا يمكن تفاديها في قصص الحياة بالتأريخ له ولتعاليمه، وبهذا يتم وقف السؤال عن الحقيقة. ثمة شيء ثالث يكمن بين نمذجي الاشتقاق و السيرة الذاتية، وإذا تمت كتابة مقال منصف لهذا الثالث فقد تم بالفعل إنجاز شيء حقيقي: خروج تصور من العقل، الذي يبدع شيئاً لعصره، يشير إلى ما هو أبعد من هذا العصر ولا يوجد ما يعادله في الوقت الراهن - نقد موضوعي للشكل الاقتصادي، الذي يتحرك المجتمع. فالمفكر ليس شخصية بطولية، وكذلك المقال ليس نوعاً من الكتابة الملحمية، ولهذا فاجتماعهما حتمي.

## مسألة امتلاك الحق

في معظم كتابات كارل ماركس توجد فكرة تستحق الوقوف عندها وفهمها وتأملها. وهذا ينطبق أيضًا على المقالات الصحفية المقتضبة وعلى الكثير من الرسائل. يواجه المرء في هذه الكتابات قبل كل شيء تحليلات على نطاق واسع لم تفقد نتائجها قوتها التفسيرية حتى بعد مرور مائة وخمسين سنة على صياغتها: أن قوة العمل تبدو في الحساب التقديري للمؤسسة الصناعية في صورة تكاليف بجوار بعضها البعض ( وبالطبع يجب أن تبقى منخفضة بقدر الامكان). أو أن يكون الهدف الذي يعمل لأجله في الرأسمالية ليس تزويد الناس بالأشياء الجيدة والنافعة، بل زيادة رأس المال. أو أن التقدم التقني بالكاد يحدث لاسعاد البشرية بالرفاهية والراحة، لكن لترشيد استخدام قوة العمل البشري في المقام الأول، وهكذا تتخفف التكاليف من ناحية وبالتالي زيادة العائد. أو بالإنتاج المكثف للسلع وخلق الفقر في نفس الوقت. كل هذا ينتمي للواقع الاقتصادي والاجتماعي، الذي لم تطوى صفحته، ويبدو أيضًا أنه لن يمضي.

السؤال الذي يُطرح كثيرًا، عما إذا كان كارل ماركس بالفعل على حق. ولهذا السبب كان هذا السؤال في معظم الحالات غير ذكي بشكل خاص. ناهيك عن أن السؤال يقود لنتائج قابلة للاستخدام. لكن الأكثر أهمية هو معرفة فيما إذا كان بوسع المرء فعل شيئًا بهذا الفكر أو ذاك. وفيما إذا أو لماذا يجب على المرء أن يجده على خطأ أو صواب - وهو الأكثر أهمية في كل حال من الحصول على تقرير رسمي يُعترف لكارل ماركس بضمير مرتاح. يبدو أن هناك دافعين مختلفين في هذا السؤال: من ناحية يؤكد الحاجة للتوجيه والارشاد. ومع ذلك فإن محاولة المرء التفكير في نفسه لن يقود استدعاء سلطة النص ما لبعيد. لذلك فإن السؤال فيما إذا كان كارل ماركس على حق أم لا، هو في الكثير من الحالات مجرد تمويه، حجاب يخفي خلفه سؤال مختلف تمامًا: فيما إذا كنا "نحن" (أيا كان ذلك) نعيش بشكل صحيح أم لا. ليست الكتابات العلمية بل الكتب المقدسة هي التي يطرح عليها السؤال بهذه الطريقة.

ومن ناحية أخرى لا يتطلب السؤال فيما كان كارل ماركس محققًا أي إجابته: فهو يؤكد ما يشبه التطرف في حين أن الأمور تأخذ مجراها، وتذهب أيضًا بدون هذا السؤال.

يعمل السؤال بوصفه علامة تشير إلى عقل ثوري مزعوم للمتسائل، ويجد تأكيدها فيه. لذلك فالسؤال مرتبط بشخصية بلاغية أخرى غالبًا ما تكون حاضرة مع كارل ماركس: بالتصريح أنه "حديث" - لأنه وصف المجتمع الذي نحيا فيه اليوم، لأنه توقع الأزمة المالية، لأنه وصف الرأسمالية - بأنها ستدمر نفسها في النهاية لأنها تستهلك جميع الموارد الطبيعية، أو بأسباب أخرى مماثلة.

قيل مؤخرًا في إحدى الصحف الأسبوعية الكبرى الألمانية: "دعوكم من الماركسيين، وأقرأوا ماركس"، "فهو حديث. يتناقش طلبة الاقتصاد والسياسة حول ماركس، ويعجب الليبراليون المتشددون بمهارته في التنبؤ. ومرجع ذلك إلى أن أزمات الحاضر، هي بالظبط موضوعاته بعد 150 سنة من نشر كتابه "رأس المال". كان قلقًا بشأن عدم المساواة التي يمكن أن تنتج بفعل الاستغلال في قاع المجتمع والتجاوزات في أعلى قمته"<sup>4</sup>.

ستكون الإجابة المعقولة على سؤال، فيما إذا كان كارل ماركس على حق أم لا، بطريقة واحدة فقط، وهي المرتبطة بالعمل: الجدل حول العمل وليس فيما يتعلق بشكل عام بمن كان على حق، بل في اختبار الادعاءات والحجج بالتفصيل. ثم سيكون هناك مُحصلات تحسم الأمر سريعًا، مثل تلك التي قادته إلى "عدم المساواة" التي يمكن أن تنتجها الرأسمالية.

لماذا ينبغي التحدث عن فكر فيلسوف ميت، طالما بمقدور الحاضر التعرف عليه مرة أخرى؟ ألا يحمل هذا التصور مفاجأة للحاضر على حساب الماضي الذي يجب أن يبدو سعيدًا، طالما هو اليوم ما زال حاضرًا؟ على الأقل لن يكون بمقدور التقدم التقني والعلمي طوال المائة وخمسين عامًا الماضية امتلاك أي مكافئ في الفكر، أو إن التقدم يتحقق في بعض المجالات والبعض الآخر لا يتحقق، بحيث أن ينظر المرء إلى تاريخ الفكر ليس بالضرورة كتطوير إلى مكاسب معرفية وتقديم رؤية واضحة دومًا - حاول الفيلسوف الفرنسي "جاك دريدا" في كتابه "أشباه ماركس" أن يناقض مثل هذا اللاهوت وبالتالي رأسمالية بلا تاريخ، التي تفهم نفسها بوصفها نظام عالمي جديد<sup>5</sup>. عبر هذه المحاولة خدم كتاب "أشباه ماركس" الرأسمالية وكأنها عمدة الماضي الحي.

ربما كانت الأفكار التي تم صياغتها في العصور السابقة وراء تخلف أفكارنا، وأكثر من ذلك لا يمكن للمرء الحصول الانطباع بأن التحفظات الحديثة ضد الرأسمالية المطلقة - في شكل تأملات عن المساواة، قبل كل شيء عند كل من جون راولز (1921-2002) أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد، ويورجن هابرماس أستاذ الفلسفة في جامعة ميونخ، أو ألكس هونت أستاذ فلسفة الاجتماع في جامعة فرانكفورت - تتعارض في الواقع مع مجرى التاريخ. البحث في الأفكار القديمة وتطويرها من جديد: قد يكون شيئًا مختلفًا وأكثر أهمية من فيلسوف ميت مشهود له بالموضوعية، والتي جردته من مكانته وجعلت منه مجرد مورد "للصدمات الفكرية" لحاضرنا وهم بالتفوق.

في النهاية توجد فكرة في تحليل كارل ماركس للاقتصاد، التي تدور فيه كل الأفكار حول المال والقيمة المضافة، وعن رأس المال والاستغلال المتلازمان وفي نفس الوقت مستقحان: الفكرة، ان في مركز هذا الاقتصاد تسلط ميتافيزيقي كلي. فالقيمة التبادلية والسعر والملكية والسلعة وكذلك العلامة التجارية، جميع هذه العناصر الاقتصادية متخثرة، فهي تجريدات موجودة في كل مكان - لكنها غير مُدركة كالتجريدات، لأنها مُستقرة في أذهان جميع الناس.

أنهم الأشباح، الذين دخلوا الوجود الحسي. "أنا أفتح فقط الصحف، فأرى الأشباح في كل مكان بين السطور، بلدنا مُفعم بالأشباح، فالأشباح في كل مكان، مثل الرمل على شاطئ البحر" هذا ما جاء في دراما "الأشباح" من عام 1881 للكاتب المسرحي النرويجي هنريك ابسن<sup>6</sup>. من المحتمل أن تكون أشباح ابسن متجانسة لحد بعيد مع أشباح كارل ماركس. هذه الكائنات الحسية - الخارقة للطبيعة، والتي فيها تأخذ شكل حالة عالمية، ومع ذلك هي في كل من الخيارين. لا يمكن لضوء النهار أن يخيف هذه الأشباح، لكن بالتعرض لنور التنوير، بالمعنى الأوسع للكلمة.

ثمة فجوة واسعة بين النداء، الذي تبناه كارل ماركس وعمله بعد عقود على سقوط الإشتراكية الحالية ، وبين معرفة كتاباته. فكرة هذا العمل ما زالت حية وإن كان جزء كبير منها استند على المرويات، لكنها ذات قوة مزهلة ومستمرة. المناصر ومن سار على نفس النهج في النظرية وقبل كل شئ في الناحية التطبيقية، لا يكاد المؤلف يوجد، إلا مع بعض الاستثناءات ذات المغزى في الاكاديمية وبين العلماء المستقلين. بالنسبة للعامة يبدو كارل ماركس كالعفريت في القمقم. مرئي موضوع مغلقاً على الرف العلوي: رجل يُنظر له مع الاعجاب أو مع الاستغراب. بل هو رجل قد يشير في بعض الأحيان إلى نوع العفريت الذي يمكن أن يكونه. لكن قضية فيما إذا يمكن احضار القمقم وتحرير العفريت، لا ينبغي أن تكون فرضية ممكنة.\*

في النهاية لا يستند هذا الموقف المتحفظ على وجوده هو نفسه في عمله كما هو الحال في وجود شخصيتين ممتزجتين في شخصه، وهما المنظر والثوري- كان كارل ماركس "الثوري" (في الصدارة) على الأقل حتى سقوط كوميونة باريس في ربيع 1871 وبعد النهاية الفعلية للأمية الأولى بعام. قد يقول أحد الماركسيين القلائل المتبقين، أن هذا لا يُعد مزجاً بأي حال من الأحوال، لأن المعرفة النظرية تحمل داخلها وبشكل دائم التحول إلى التطبيق: لا ينفصل الفكر الصحيح عن الفعل الصحيح، وإلا ما أمكن التحدث عن المعرفة. لكن من الممكن جداً تصور أن المرء يعرف شيئاً جديداً ولا يستخلص نتائجه، أو يكون ضد معرفة أفضل بشكل أشد. وبعيداً عن ذلك تماماً يمكن اعطاء أسباب تكتيكية وإستراتيجية للتصالح بحل وسط، وبذلك تخنفي الأفكار، حتى ولو أمكن البوح بمعرفة افضل خلاف ذلك.

-----

\* هناك محاولات عدة لقراءة كارل ماركس من جديد، بدءاً بمجلد "قراءة كتاب رأس المال" في عمل مشترك بدأه لويس ألتوسير عام 1965، وصولاً لدراسة وليم كلير روبرتس "جسيم ماركس، النظرية السياسية لرأس المال" (برينستون 2017)، وينتمي هذا العمل الحالي إلى هذا التقليد.

المنظر والثوري، رجل المبدأ ورجل العمل السياسي والتحالفات والمعارك الفئوية - لا يظهران معًا متداخلين. فأحدهم يعي الثورة كنتيجة حتمية للتطورات التاريخية، والآخر يؤمن أنه يجب دفع الثورة بالعنف وإن أمكن على الفور. أحدهم يُحلل والآخر يدعو للفعل. ويدفع كارل ماركس نفسه في مواجهة المنظر والثوري في هيئة ثلاثة تحمل سمات كل منهما، وتقوم بدور الوسيط بين الشخص والآخر، وكذلك كوسيط بين الأثنين والعالم الخارجي: الصحفي نفسه، هو مؤلف عليه أن يكتب بدافع محدد تماما كما هو في فوضى الأخبار والموقف المعقد للرأي العالم. الصحفي كذلك، هو رجل الأخطاء المتطورة، لأنه يكتب من يوم ليوم.

الدور الهام جدًا الذي ألزم به كارل ماركس الأجيال القادمة، هو الدور المزدوج للمنظر والثوري، لعدم وجود أي دول تقريبًا يثار فيها (حاليًا) اعتراضات جوهرية ضد الملكية الخاصة، باستثناء كوريا الشمالية. فتجاهل التاريخ للثوري تم بطريقة مختلفة تمامًا، وهذا لا يمكن أن يحدث مع المنظر. فنادراً ما يكلف المرء نفسه في الأوضاع الديمقراطية مشقة تنفيذ أفكار المنظر. ستسقط وتتحرى جانباً في وقت ما، وستصبح غير مهمة، ثم تُنسى، أما الثوار، فهم إما منبوذون أو مُحترقون، إن هم وقفوا في الجانب الخطأ. فلم يأتي أبداً في بيان الحزب الشيوعي اعلان عن حتمية ثورة الطبقة العاملة. وغيابها لا يخدم فقط بوصفه اعتراض جوهري ضد الثوري بل هو أيضاً دحض لأفكار المنظر.\*

\* شكل هذا الوضع المشتبك في رواية "أسطورة ماركس" للكاتب الأسباني خوان جويتسولو، والتي نُشرت عام 1993، والتي اعتبرت كرد فعل على سقوط الامبراطورية السوفيتية ومحاولة للحفاظ على أفكار ماركس بعيداً عن هذا المصير.

العلاقة بين الثوري والمنظر لن تكون سهلة، لأن المنظر شخص متحرك. " كان ماركس هو آخر منظم عظيم، وفي نفس الوقت هو الأول الذي كانت الأجزاء عنده لا تقل أهمية عن النظام المُفصل"<sup>1</sup>. وهذا ينطبق على المجلد الأول الشهير من "رأس المال". بصرف النظر عن إن ما يقرب من ثلثي هذا الكتاب يتكون من شرح النتائج التجريبية، التي تشهد على مقدار الأهتمام الذي كرسه كارل ماركس لفصل

قوة التعبير عن التقديرات التقريبية، التي تربط الكتاب بلحظة تاريخية محددة وأيضاً ببلد محدد: يحصل المرء على الانطباع، بأن الكتاب المنشور مدين لقرار في لحظة مناسبة، أكثر من اكتمال العمل نفسه. نظرًا لمثل هذه الظروف غير المؤكدة، غالبًا ما يتم الإشارة إلى تحول كارل ماركس في جوهره إلى كلاسيكي في إنجاز رفيق دربه فريدريك إنجلز، الذي بدأ من عام 1877 بكتاب " ثورة السيد أوجين دورينج في العلوم" (اختصارًا: ضد دورينج) واستمر حتى الجيل الأول من الماركسيين<sup>2</sup>.

لا يغيب التمهيد عند كارل ماركس، ولا في الأعمال المنشورة في حياته كذلك. فكل ما هو مهم يذهب للتدقيق وهذا صحيح أيضًا بالنسبة إلى " بيان الحزب الشيوعي"، فهذا العمل الصغير للثوري الشاب، الذي أخذه كارل ماركس المنظر بالكاد بجدية في سنواته الأخيرة، على الرغم من كون "البيان" أكثر دقة: في الفصل الأول "البرجوازية والبروليتاريا" هذا الكتاب الذي ما زال ولليوم يحدد صورة المنظر بسبب إيجازه وأسلوبه التحريضي. هذا العمل مفعم بالمتناقضات، وبعض من أفكاره المركزية قد تم تجاوزها في الأعمال اللاحقة\*.

\* كان بيان الحزب الشيوعي من كتابات الحركة الشيوعية التي قرأت كثيرًا. بدايةً كان بعد محاكمة لايبتيسيج عام 1872 لقادة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي بتهمة الخيانة العظمى. وكان المدعي العام قد قدمه بوصفه دليل إدانة، وبذلك حصل البيان على المزيد من الدعاية، وأعيد نشره بهذا المناسبة. أما الطباعات بأعداد كبيرة للبيان الشيوعي فقد تمت في القرن العشرين.

#### الاقتصاد وبقية العالم

كان الاهتمام بالمؤلفات الكلاسيكية للنظرية الماركسية في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين واسع الانتشار. على الأقل في دوائر العلوم الإنسانية في الجامعات التي تم اصلاحها حديثًا. وإن

لم يكن في صورة نصوص مقروءة، فثمة إدعاء أن هذه الكتب تم قرائتها. لم يبق من ذلك في الكليات إلا القليل، اللهم إلا إحدى كليات علم اللغات الملهمة بالسياسة وعالية التخصص<sup>3</sup> - على الأقل تميل إلى كونها ممارسة تعليمية خاصة مكثفة، في مواجهة الأقسام الماركسية مع تفرعات مُحسنة جديدة<sup>4</sup>. كشفت عن تأثير النظرية الماركسية وأصبحت في جوار المتوفين، وأنتهت \*\* علاوة على ذلك أصبح من الصعب النظر إلى خصائص وفعل رأس المال من الخارج- وكأن الاقتراب من رأس المال، بوصفه شيئاً غريباً أو غير معروف، وبالطبع كما لو كانت كونيته ليست منذ زمن بعيد، وكما لو كنا لم نشارك بطرق عديدة في عمله (والاهتمامات الملائمة). اسم "ماركس" في هذا السياق علامة لمشكلة لم تُحل.

كان العنوان الفرعي لكتاب "رأس المال" هو "نقد الاقتصاد السياسي"، وقصد من الكتاب بذلك: أن يكون بحث أساسي للظروف الاجتماعية، التي تتحدد من خلال الاقتصاد. يعني بالاقتصاد السياسي أن الاقتصاد شيء مطلوب ويجب تنفيذه بقوة الدولة. تُخالف هذا الرؤية علم الاقتصاد، الذي يهتم قبل كل شيء بالوصف والتحليل للعلاقات القائمة، بدون البحث عن الأسباب والسياقات ذات الصلة. وبذلك يبدو وكأنه "عقيدة حياتنا"<sup>5</sup>. كما يناقض التقارير المعلنة عن المعاملات الاقتصادية، التي تحكم وفقاً للفرص المقدمة والمدركة أو الضائعة، وبديهيًا يجعل من نفسه مشتركاً بالسعي لنجاح الفاعلون في الخلفية. "يشرح الاقتصاديون لنا، كيف تنتج الظروف المعطاة، يكتب كارل ماركس لكن ما لم يشرحونه لنا، هو كيفية تكون هذه الظروف نفسها"<sup>6</sup>. هذا الحكم ما يزال صحيحاً كما كان من قبل:

-----  
\*\* وقد حدث نفس الشيء بالنسبة للتعبيرات في المركز الاقتصادي الماركسي، فقد ظنوا ان المقولات مثل الطبقة، الاستغلال، القيمة المضافة، العمل المأجور، أدوات الإنتاج، أو تراكم الثروة، أنها من ابداع كارل ماركس، لأنه استخدمها، رغم انها جاءت من قبل أسلافه من رواد النظرية الاقتصادية الكلاسيكية على سبيل المثال ريكاردو أو هنري دي سان سيمون. بعد العمل العظيم المركب الذي قام به ماركس لم يبدو الأمر غير ضروري و فقط، بل أصبح من الصعب تخيل التعامل المباشر مع أسلافه.

المال هو نوع من زيت التشحيم، الذي يُسهل تبادل السلع والخدمات. هذا ما قاله الأمريكي الحائز على جائزة نوبل باول صامويلسون بشكل موجز في كتابه "نظرية الاقتصاد الشعبي"<sup>7</sup>

إضافة لذلك فإن علوم الاقتصاد كانت تقدم نفسها لعقود بوصفها نظام رياضي عملي. وفي الوقت نفسه يطالبون ليس ليكون علم تاريخي وليس ليكون كيان تاريخي، بدلاً من ذلك يريد النظام أن يكون سرمدياً، لأنه يبدو وفقاً لمعايير الدقة الرسمية عملي، وبالتالي ينتمي للعلوم الطبيعية.



لم يرى أحد على الاطلاق كيف يسير الاقتصاد بوصفه موضوع جماعي، لكن الجميع يتعاطى أثره يومياً - وقد اكتسبت هذه المسألة أبعاد خطيرة في الأعوام الأخيرة رغم مكاسبه سابقاً مع كل انهيار في الوضع الاقتصادي، ثم تعود المسألة وتتوارى في خلفية نشرات الأخبار. لكن منذ وقت قريب بدا أنها مازالت أزمة غير مُحتملة، وتتسم بوجود أزمة قادمة تعقبها في الأفق. يبدو أن المسألة أصبحت مسألة مصير. لكن ومع ذلك فمن عدم الارتياح والقلق بشأن المستقبل ينمو أيضاً: شئ آخر غير الحياة مع هذا "الاقتصاد"، الذي فيه وجد شكل محدد للعالم منذ زهاء ربع قرن، يبدو أنه لا يكاد شخص يستطيع تصور ذلك (الحياة بعيداً عن هذا الاقتصاد). فكلما ساءت الرأسمالية كلما تزايدت مخاوف الجميع بشأن النجاة.

كانت كلمة "الرأسمالية" نفسها ولزمن طويل تستخدم في ألمانيا بهدف مهاجمتها، حتى وإن جاء الهجوم من قبل اتجاهات متباينة: تحدث عن الرأسمالية فيلهلم ليبكنيشت ( أحد مؤسسي حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي في 1869 في ألمانيا). وفعل نفس الشئ عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1864-1920) ويوسف جوبلز وزير الدعاية لألمانيا النازية. وأخيراً تم تغيير التعاطي مع الكلمة بعد الحرب العالمية الثانية، ففي جمهورية ألمانيا الإتحادية وُضعت صيغة " اقتصاد السوق الحر" كتعبير مُلطف بديل، وبها أختفى تاريخ النضال ضد هذا الشكل الاقتصادي.

كان التلمص من الاسم الوحيد المناسب ملفت للنظر، لأن "اقتصاد السوق" موضوع قديم: حيث كان سائداً منذ آلاف السنين. لكن من الواضح أن السياسيين والاقتصاديين في جمهورية ألمانيا الإتحادية أرادوا عدم التحديد لذلك النظام النوعي مع الاجبار على التجديد والابتكار، التي هي سمة مميزة للرأسمالية، فهو إذن ليس اقتصاد سوق فحسب، وبالتأكيد لم يستطع الرومان القدماء فعل أي شئ باقتصاد السوق.

### ملاحظات

تم النقل من أعمال كارل ماركس وفريدريك انجلز من الطبعة الموثوق فيها (أعمال ماركس وإنجلز)، والمعروفة بالمجلدات الزرقاء. على الرغم من وجود طبعة تاريخية نقدية (ماركس انجلز الاعمال الكاملة) تتطوي على تقدم لغوي في مقابل الطبعة القديمة. لكن هذا الكتاب ليس عملاً علمياً، بل هو في الأساس عبارة عن حفنة من النصوص المعروفة التي يتم

فيها بعض التغييرات الطفيفة عبر التحرير النقدي. للطبعة القديمة (أعمال ماركس وإنجلز) مزايا لكونها متاحة بسهولة ورخيصة الثمن. ولهذا السبب لم يتم استخدام طبعة (ماركس إنجلز الأعمال الكاملة) إلا في حالات نادرة، التي احتوت على إضافات مختلفة للنصوص ويتم الوصول لها بسهولة. لم يتم الأخذ بالإضافات التوضيحية في النص الأصلي.

## المقدمة

- 1- أول عمل عصري كبير للفن، مرشال برمان: كل ما هو صلب يذوب في الهواء. نيويورك 1982، الصفحات 102، 121.
- 2- تري اجلتون: لماذا ماركس كلى حق. ترجمة من الإنجليزية هاينر كوير. برلين 2012. ص. 126.
- 3- كارل ماركس، راس المال، المجلد الثالث، (1804) الأعمال الكاملة. 25، برلين 1977 ص. 839.
- 4- ليزا نينهاسوس: لقد عاد ثانية! راي مارل ماركس مشكلة الرأسمالية في السابق، التي اليوم توجب شعبي اليمين. ماذا يمكننا أن نتعلم منه. جريدة دي تسايت، 9 فبراير 2017.
- 5- جاك دريدا: أشباح ماركس. دولة الخطيئة، العمل الحزين، الأممية الجديدة. ترجمة عن الفرنسية سوزان لودمان، برلين 2004. أسس تحول نقد الاقتصاد السياسي، برلين 2012. وفي منطقة اللغة الانجلو ساكسونية سادت على العكس من ذلك سادت القراءات النظرية لتاريخ الأفكار، على سبيل المثال عند وليام روبرت: جحيم ماركس، النظرية السياسية لرأس المال، برنستون 2017.
- 6- هنريك ابسن: الأشباح (1881). في : مسرحيات درامية في مجلد واحد، ترجمة ونشر هاينر جيملر. فرانكفوت 2006. الصفحات من 389 - 463.

## المجد

- 1- فولفجانج روت: رأسمالية إلى الأبد، عن الأزمة والحرب والثورة والتطور والمسيحية والإسلام، برلين 2012 ص. 62.
- 2- أنجو البه. ماركس في الغرب. نصوص ماركس الجديدة في جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ عام 1965، برلين 2010، ص. 14.
- 3- أفضل مثال على ذلك كتاب انجو البه المذكور: ماركس في الغرب. نصوص ماركس الجديدة في جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ عام 1965، برلين 2010.
- 4- ويشمل ذلك أيضاً: كتاب "موشى بوسطن": الوقت، العمل، والسيادة المجتمعية. تأويل جديد لنظرية كارل ماركس النقدية، فرايبورج 2002. محاولة "هارلد هازلباور" لإعادة البحث من جديد في التعاليم الماركسية حول مصطلح الملكية: الملكية، الفرد، المصطلح والضرورة وتبعات التحريض البرجوازي، مونستر 2016.
- 5- يوسف فوجل، شبح راس المال، برلين 2010 ص. 21
- 6- كارل ماركس/ فريدريك أنجلز، بيان الحزب الشيوعي (1848) أعمال ماركس إنجلز 4، برلين 1990، ص. 126
- 7- باول سماويلسون/ وليام نورد هام، نظرية الاقتصاد الشعبي، الترجمة عن الإنجليزية ريجينا برجر، برجيئا هلجر، ميونخ 2016، ص. 67